كلمة في رثاء شيخنا العلامة
زيد بن محمد بن هادي المدخلي

كتبها

ابو عبد الله
وائل بن علي بن احمد الأثري

كلمة في رثاء شيخنا العلامة زيد بن محمد بن هادي المدخلي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان وسلم تسليماً كثيراً وبعد :

فقد اتصل علي بعض الإخوة الأحبة ضحى هذا اليوم وفجعني بخبر وفاة شيخنا العلامة الأصولي الفقيه / زيد بن محمد بن هادي المدخلي ؛ رحمه الله وأدخله فسيح جناته .

والحقيقة أقول :

إن هذا الخبر قد نزل علي كالصاعقة فأخذت أردد قول (إنا لله وإنا إليه راجعون) وقد انهمرت عيناي بالبكاء وذلك لحبي الشديد لهذا العالم الكبير ومدى حرصي على الاستفادة منه ، فمنذ أن عرفت مكانته العلمية وأتمنى أن ألتقي به ولكن قدر الله وما شاء فعل . ولا أملك إلا أن أقول :

إن العين لتدمع وإن القلب ليحزن ولا نقول إلا ما يرضي ربنا وإنا على فراقك يا شيخنا لمحزونون ، ونقول : اللهم أجرنا في مصيبتنا واخلفنا خيراً منها .

ولا شك أن موته فجيعة عظمى ومصيبة كبرى من أكبر المصائب ولموت قبيلة أيسر من موت عالم ، إذ بموت العلماء يقل العلم ويكثر الجهل والداعون إليه .

وقد روى الإمام البخاري ومسلم في صحيحهما من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص أنه قال : سمعت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يقول :« إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنْ الْعِبَادِ وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعِلْمَ بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ حَتَّى إِذَا لَمْ يُبْقِ عَالِمًا اتَّخَذَ النَّاسُ رُؤوسًا جُهَّالًا فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا »[1] . لذا فإن السلف الصالح كانوا يحزنون على موت العالم السلفي ويدل على ذلك كلامهم الكثير

[1] - متفق عليه : رواه البخاري (١٠٠) ومسلم (٢٦٧٣) .

في هذا الشأن ومن جملة كلامهم قول الحسن البصري – رحمه الله – : كانوا يقولون موت العالم ثلمة في الإسلام لا يسدها شيء ما اختلف الليل والنهار[٢].

وقول أيوب السختياني : إنَّه ليَبلُغنِي موتُ الرَّجل من أهل السُّنَّة، فكأنَّما سقط عضوٌ من أعضائي .

وقول بعضهم : موت العالم مصيبة لا تجبر ، وثلمة لا تسد ، وهو نجم طمس ، موت قبيلة أيسر من موت عالم[٣] .

قال ابن القيم رحمه الله في مفتاح دار السعادة : (لما كان صلاح الوجود بالعلماء ولولاهم كان الناس كالبهائم بل أسوأ حالاً كان موت العالم مصيبة لا يجبرها إلا خلف غيره له ، وأيضاً فإن العلماء هم الذين يسوسون العباد والبلاد والممالك فموتهم فساد لنظام العالم ولهذا لا يزال الله يغرس في هذا الدين منهم خالفاً عن سالف يحفظ بهم دينه وكتابه وعباده ، وتأمل إذا كان في الوجود رجل قد فاق العالم في الغنى والكرم وحاجتهم إلى ما عنده شديدة وهو محسن إليهم بكل ممكن ثم مات وانقطعت عنهم تلك المادة فموت العالم أعظم مصيبة من موت مثل هذا بكثير ومثل هذا يموت بموته أمم وخلائق كما قيل :

تعلم ما الرزية فقد مال
ولا شاة تموت ولا بعير
ولكن الرزية فقد حر
يموت بموته بشر كثير

وقال آخر :

فما كان قيس هلكه هلك واحد

---

2 - تنبيه : يروى هذا القول مرفوعاً إلى النبي – صلى الله عليه وسلم – ولكنه لا يصح ، قال الألباني في الضعيفة (٤٦٦٨) موضوع .

3 - تنبيه : يروى هذا القول مرفوعاً إلى النبي – صلى الله عليه وسلم – ولكنه لا يصح ، قال الألباني في الضعيفة (٤٨٣٨) ضعيف جداً .

ولكنــــــه بنيــــــان قــــــوم تهــــــدما)[٤]

ولقد ذكرني حزني هذا على شيخنا زيد – رحمه الله – بالأبيات التي قالها متمم بن نويرة يرثي بها أخاه مالكاً :

لقـــد لامـــني عنـــد القبـــور علـــى البكـــا
رفيقـــي لتـــذراف الـــدموع الـــسوافك
فقـــال أتبكـــي كـــل قـــبر رأيتـــه
لقـــبرٍ ثـــوى بـــين اللِّـــوى فالـــدوانك[٥]
فقلـــت لـــه إن الـــشجا يبعـــث الـــشجا
فـــدعني فهـــذا كلـــه قـــبر مالـــك

وإنني أرثيه في هذا الموطن بمثل الأبيات الجميلة الرائعة التي قالها في رثاء سماحة الشيخ العلامة عبد العزيز بن باز – رحمه الله – وقد قمت بتغيير ما يلزم ونبهت على ذلك في الحاشية :

يوم الخميس[٦] أتانا النعـي مـع أسـفٍ ... مات الوقور عظيم الفـضل والـشّيم
(زيد بن هادي)[٧] إمام الخير في زمـن ... قلّ الهداة وقـلّ الفقـه مـع قـيم
(زيد بن هادي)[٨] غزير العلم ذو خلق ... وكم لـه في وجوه الخير مـن قـدم
بـالعلم أوصـى بـلا حـدٍّ ولا ملـل ... بذا شـهدنا ورب اللـوح والقلـم

---

4 - مفتاح دار السعادة (١ / ١٨٣ - ١٨٤) طبعة دار عالم الفوائد .

5 - وفي بعض النسخ : فالدكادك .

٦- علق الشيخ زيد بقوله : (الموافق للسابع والعشرين من شهر الله الْمُحرم (١٤٢٠) للهجرة النبوية.)اهـ

قلت : والعجيب أن يتوافق ذلك مع وفاة شيخنا زيد رحمه الله : الخميس الموافق للثاني عشر من شهر جمادى الأول ١٤٣٥هـ .

7 - في الأصل : عبد العزيز .

8 - في الأصل : عبد العزيز .

كم ظلّ يدعو إلى الإحسان مــع وجــل ونصره الحق لا يخفى علــى الفهــم
ما كان يسعى لجمــع المــال أو حلــل حاش الكريم رفيع القــدر والحكــم
بل كان يــسعى لنــشر العلــم في دأب نعم الحبيــب شــهير الــبر بــالأمم
ما كان يدعو كذي عنــف ولا صــلف ولا التظاهر يرضى ويح كــل عمــي
بل كان يدعو لفقــه الــدين مــع أدب أمــرًا ونَهيًــا ألا طــوبى لمقتــسم
قد زانه العلــم ثم الحلــم مــع عمــل ودعــوة النــور دأب العــالم العلــم
لم تبــصر العــين ذا فــضل وذا رشــد مثل الفقيد فقيــد الفــضل والكــرم
كــم حــائر جاهــل بــالحق ذي قلــق أسدى له النصح في فصل من الكلــم
وكــم قــضايا لأهــل الأرض غامــضة قد حلّها الشيخ بالقسطاس والحكــم
وسنة الخــير قــد أحيــا بــلا شــطط وبدعة السوء قد أجلى عن الأمــم[9]
ومنبر الخير قــد نــادى علــى عجــل أين الإمام غزير العلــم مــع همــم
أين الإمــام ضــجيع الــبر ذو شــرف وناشر العلــم والترتيــل في الظلــم
يبكيــه فقــه وطــرف الخــل في أرق والثغر يبكي ومن يمشي علــى قــدم
قلنا اصطبارًا فكم في الــدهر مــن عــبر وسلموا الأمر للــرحمن ذي الحكــم
فكــل حــي مــن الأحيــا إلى أجــل ورحلة الموت قــد تــأتي فــلا تَهــم
والكامــــل الله في ذات وفي صــــفة له البقــاء عظــيم الــشأن والــنعم
والــرب أرجــو لمــن أرثيــه مغفــرة فهو الرحيم ومنشي الكون من عــدم

---

9 - حذفت ثلاثة أبيات تلي هذا البيت لعدم توافقها مع شيخنا وتناسبها مع الشيخ ابن باز وهذه هي الأبيات :

ومجمــع الفقــه والإفتــاء في مــلأ من صــفوة الخلــق والأحبــار كلــهم
لكن هو الــرأس في قــول وفي عمــل ومرجــع القــوم بالإجمــاع فــاحترم
والنور في الدرب مــن آي ومــن أثــر والشيخ فيه كــضوء النــار في القمــم

وجنـــة الخلـــد في الأخـــرى مباركـــة   فيهـــا الكمـــال ألا طـــوبى لملتـــزم
ثم الـــصلاة علـــى المختـــار دائمـــة   معها ســـلام كعـــدِّ الخلـــق كلـــهم
والآل والصحب من كـــانوا عبـــاقرة   نعم الرجال رجال العـــلم والقـــيم

وأرثيه أيضاً بمثل ما قاله في رثاء الشيخ العلامة محمد بن صالح العثيمين – رحمـــه الله – وهي أبيات رائعة يتوافق مضمونها مع ما نجده تجاه فقيدنا العزيز الغالي :

بكت عـــيني علـــى شـــهم تقـــي   على نـــور العقيـــدة قـــد أقامـــا
فلطفًـــا يـــا ودود بـــشيخ علـــمٍ   جليـــل القـــدر قوامًـــا إمامـــا
(وعنيت زيدًا)[10] يـــا قـــوم إني   أسيف القلـــب حبًّـــا واحترامـــا
لقد نـــزل المـــصاب بكـــل فـــرد   وعم الخطب في الـــدنيا ودامـــا
لقد عـــاش الهمـــام حيـــاة حـــبر   لنـــشر العلـــم بـــدءًا واختتامـــا
صـــديق في النوائـــب مثـــل بحـــرٍ   يواسي معـــدمًا يرجـــو ســـلاما
كـــريم في التعامـــل مثـــل غيـــثٍ   كثير البـــشر يبتـــسم ابتـــساما
صـــريح في النـــصائح دون ثلـــبٍ   يقول الحـــق لا يخـــشى ملامـــا
وبحـــر في العلـــوم عميـــق غـــورٍ   وعند البحـــث أصـــوبنا كلامـــا
محـــبٌّ للقـــران كـــثير ذكـــرٍ   وبالآثـــار أكثرنـــا اهتمامـــا
رحيم بالـــضعيف خفـــي عطـــفٍ   وحسن الـــبر يقـــتحم اقتحامـــا
حكـــيم في المـــواعظ والوصـــايا   ونـــور الحـــق يُرســـله ســـهاما
لقـــد كـــان المقـــدم في المزايـــا   كضوء البـــدر إذ يغـــدو تمامـــا
ســـليم الـــصدر أواه منيـــب   علـــى الإيمـــان شمـــر واســـتقاما
ونـــصر الـــدين يبذلـــه بحـــزم   وبغض الظلم كان لـــه وســـاما
عرفت الشيخ مـــن دهـــر مديـــد   منارًا في الزمـــان وقـــد تـــسامى
فقيـــد الفـــضل ذو صـــبر وحلـــم   نزيه الثـــوب زهـــدًا واحتـــشاما

---
10 - في الأصل : عنيت محمداً .

بكتـــه منـــابر وبكتـــه كتـــب … ودمع الخـــل ينحـــدر انتظامـــا
بكـــاه الـــصالحون بكـــل قطـــر … كذاك الأرض تبكي مـــن أقامـــا
حقوق الـــرب في عـــسر ويـــسر … كنهج الشيخ بالرســـل ائتمامـــا
سأذكر فـــضله مـــا دمـــت حيًّـــا … ضجيع الشرع حكمًا واحتكامـــا
رزايا المـــوت تتـــرى كـــل حـــين … قـــضاء الله لا يبقـــي العظامـــا
فصبرًا يـــا بـــني الإســـلام صـــبرًا … وآل الـــشيخ أوصـــيهم دوامـــا
بحـــسن الـــبر مـــن قـــول وفعـــل … وبالطاعـــات حبًّـــا واعتـــصاما
ولست مبالغًـــا في نعـــت شـــيخي … كفـــاه العلـــم يرفعـــه مقامـــا
ويـــا ربـــاه ألهمنـــا اصـــطبارًا … على المقدور نحتـــسب الْهُمامـــا
وصـــلى الله والأمـــلاك جمعًـــا … على المختـــار طوعًـــا واحترامـــا
وســـلم يـــا إلهـــي دون حـــصر … على مـــن كـــان للـــدنيا إمامـــا
رسول الخلق ذي شـــرف وفـــضل … ومن بالحـــق يـــلتـــزم التزامـــا

وأرثيه أيضاً بمثل ما قاله في رثاء الشيخ العلامة محمد بن أمان الجامي – رحمه الله – :

بكت عـــيني وحـــق لهـــا البكـــاء … وقال القلب (للزَّيد)[11] الـــدعاء
فنصف القرن في الإصـــلاح دومًـــا … لتـــهنا ذخـــره نعـــم العطـــاء
وكم واجهت مـــن فكـــر خطـــير … لنـــشر الـــشر يعقبـــه الـــبلاء
فقمـــت بنـــسفه حقًّـــا وقـــسطًا … فبـــان الحـــق وارتفـــع اللـــواء
وكم من شـــبهة جالـــت فمالـــت … بأهـــل الجهـــل يحملـــها النـــداء
فقمت بدحـــضها صـــدقًا وعـــدلًا … فزال الجهـــل وانكـــشف الغطـــاء
بكتـــك منـــابر وبكتـــك كتـــب … فقيـــد الفـــضل شـــيمتك الحيـــاء
هززت منـــابرًا بـــالوعظ ذكـــرى … ونصح الخلـــق يـــصحبه الرجـــاء
رمـــاك المغرضـــون بكـــل ســـوء … وحاشـــا القـــرم بـــل ذاك ابـــتلاء

[11] - في الأصل : للجامي .

ملأت قلوبنا يا شيخ حزنًا … وعند الله يحتسب الجزاء
رزايا الموت تترى كل حين … وكل الخلق في هذا سواء
فصبرًا يا دعاة الحق صبرًا … وسدوا الثغر أنتم أولياء
وخصوا ذا الفقيد بطيب قول … دعاء خالصًا معه الثناء
فأنتم بالعدالة قد ذكرتم … سراة الجيل ليس بكم خفاء
ألظّوا بالدعاء فقد سعدتم … بحسن النهج يصحبه النقاء
ففضل الله مدرار رحيب … وحزب الله بينهم الولاء
ويا رباه ألهمنا اصطبارًا … على المقدور إذ نفذ القضاء

وأرثيه أيضاً بمثل ما قاله في رثاء الشيخ عبد السلام بن برجس آل عبد الكريم :

عيونٌ بكتك رفيع المقامْ … عنيتُ بشعري (زيد الهمامْ)[١٢]
وشيخ الشباب رفيق العظامْ … ضجيع العلوم بكل اهتمامْ
بكاء المنابر يا ابن الكرامْ … عليك شهيرٌ لطيب الكلامْ
حباك الإله بحسن الختامْ … ثناء الخليقة خير الوسامْ
وربي سألتُ (لزيد الهمامْ)[١٣] … رفيع الجنان وأعلى مقامْ

والحقيقة أقول :

إن الكلام على شيخنا زيد – رحمه الله – ذو شجون ، كيف لا وهو أول عالم أتواصل معه في دروسه وتكون لي معه أسئلة وذلك عندما علمت بأن دروسه العلمية تنقل وتذاع مباشرة عبر الشبكة العنكبوتية (الإنترنت) في غرفة على برنامج البالتوك والبيالوكس والموقع الرسمي له ؛ فدخلت خصيصاً لمتابعة الشيخ وحرصت على حضور

[12] - في الأصل : عبد السلام .
[13] - في الأصل : لعبد السلام .

الدروس المباشرة وتواصلت مع الإخوة الذين ينقلون الدروس من مسجد الشيخ في الغرفة الصوتية وكانوا عدة فصارت هناك علاقة مع كثير منهم وعلى رأسهم ابن الشيخ الأخ الحبيب علي بن زيد المدخلي وفقه الله لكل خير .

وقد زادت العلاقة مع الأخ علي بن زيد حتى إننا كنا نتحدث لأوقات طويلة بعد درس العشاء وبالليل وقد لمست منه أدباً جماً وتواضعاً كبيراً والحقيقة أن الشيء من معدنه لا يستغرب فهو ابن شيخنا – رحمه الله – وهو العالم الرباني .

وقد عرف الأخ علي مدى حبي لأبيه الشيخ زيد ومدى حرصي على متابعة درسه المباشر خاصة وقد أبنت له شيئاً من ذلك فقلت له لو أن المرء يستطيع أن يهب عمره لأحد لوهبت عمري للشيخ زيد فإن حياته أنفع للإسلام والمسلمين من حياة مثلي فشكرني بكلمات طيبة على هذه الكلمات .

وقد أخبرت الأخ علياً كذلك أنني أفرغ أجوبة شيخنا زيد على أسئلتي التي يجيب عليها ففرح جداً ، فقلت له أتمنى لو تتيح لي الفرصة ليتم عرض الكثير من أسئلتي على الشيخ فأتاح لي الفرصة بالفعل فكان يعرض غالباً في كل درس ثلاثة أسئلة إذا أتيح المجال لذلك ، وقد أريته نماذج من تفريغ أجوبة الشيخ على أسئلتي ففرح بذلك جداً وقد أعطيته تفريغ إحدى وخمسين فتوى وكان ذلك في أواخر شهور عام ١٤٣٠هـ وذكر الأخ علي آنذاك بأن هذه الأسئلة ستكون إن شاء الله في الجزء الرابع من كتاب الشيخ (العقد المنضد) وقد ذكرت له بعد ذلك أن التفريغات زادت عندي على هذا العدد بكثير ، فطلب مني إرسالها وشكرني على ذلك وقال جزاك الله خيراً على نيتك الطيبة .

كما أن الأخ علياً ومن معه في الغرفة الصوتية لما رأوا معرفتي بهذه البرامج على الشبكة جعلوني مشرفاً في غرفة الشيخ وكذلك مشرفاً على موقع الشيخ .

وقد كان الشيخ – رحمه الله – حريصاً على اتباع السنة وداعياً إليها ، وداحضاً للبدعة ومحذراً منها ومن الوقوع فيها ، وكان يحرص على اتباع الدليل الصحيح فلم يكن يتعصب لقول فلان أو علان وإنما يرجح ما رجحه الدليل الصحيح فلم يكن مقلداً

وإنما كان مجتهداً محققاً نقاداً بصيراً بأقوال أهل العلم ويرجح بالدليل الصحيح بعيداً عن الاستدلال بالأحاديث الضعيفة وكان يحب متابعة الشيخ الألباني – رحمه الله – في أحكامه على الأحاديث .

فهو بحق يعتبر إماماً من أئمة العصر وجبلاً من جبال العلم الشرعي في العقيدة والتفسير والحديث والفقه والأصول والشعر فهو موسوعة علمية بحق وصدق وكتبه ودروسه أكبر دليل على صحة ذلك .

وقد أعجبني الشيخ زيد – رحمه الله – لأنه من الراسخين في العلم على عقيدة السلف الصالح ومنهجهم القويم ، وقد كان من المدافعين عن العقيدة والمنهج الصحيح ، وردوده على المخالفين من المتقدمين والمتأخرين والمعاصرين أكثر من أن تذكر ومن جملة ذلك رده على الخوارج في عديد من كتبه ودروسه بل لقد خصص كتاباً في الرد عليهم بعنوان (الإرهاب وآثاره على الأفراد والأمم) وهو جدير بأن يُدرس في كل مكان ليتم الانتفاع به على أكمل وجه ومن ثم يحظى المؤلف بالأجر ويستفيد الناس العلم الشرعي الصحيح .

وردوده على سيد قطب وحسن البنا وجماعة الإخوان والتبليغ والصوفية وغيرهم من الأحزاب والفرق كثيرة ووفيرة في كتبه ودروسه .

كما أنه اعتنى عناية كبيرة بقضية الإيمان والرد على المرجئة فقرر عقيدة السلف ورد على المرجئة وشبههم في كثير من كتبه ودروسه وقد وجهت إليه عدة أسئلة في ذلك وأجاب عليها بفضل الله تعالى الإجابة الصحيحة المسددة .

وقد كان الشيخ – رحمه الله – حكيماً فلم يكن يرد ردوداً خاصة على أهل البدع بأسمائهم إلا إذا استدعى الأمر ذلك حتى لا يصرفه ذلك عن طلب العلم وتدريسه العلوم الشرعية النافعة فلم يكن يدخل في القيل والقال كما يحدث الآن على الساحة وقد عرفت هذا من خلال حضور الدروس فكان أي سؤال به أسماء أشخاص لا يتم عرضه ويندر عرض الأسئلة التي تشتمل على ذكر أشخاص وقد عرفت أن هذه تعليمات الشيخ .

وقد اعتنيت بعلم الشيخ وبذلت جهدي في ذلك فحرصت على اقتناء مؤلفاته وسماع دروسه المباشرة والمسجلة وحصلت على ثلاث شهادات حضور للدورة القرعاوية ، ومن جملة عنايتي بعلمه أنني قمت بتفريغ عدد من دروسه بنفسي ، ومنها ما هو بالتعاون مع بعض محبيه ، ومن جملة عنايتي هذه الأبحاث :

١- تفسير قوله تعالى: ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي ﴾ للشيخ العلامة زيد بن محمد بن هادي المدخلي، تحقيق وتعليق .
٢- فقه الدعوة ونعوت الداعية للشيخ العلامة زيد بن محمد بن هادي المدخلي، تحقيق وتعليق.
٣- الكلمة الختامية للدورة القرعاوية ١٤٣٢هـ للشيخ العلامة زيد بن محمد بن هادي المدخلي، تحقيق وتعليق .
٤- لقاء الشيخ العلامة زيد بن محمد بن هادي المدخلي بطلبة العلم السلفيين بسوهاج عبر الهاتف، تحقيق وتعليق.
٥- سؤالاتي للشيخ العلامة زيد بن محمد بن هادي المدخلي[١٤] .
٦- التعليقات البهية على الوصية الصغرى لشيخ الإسلام ابن تيمية للشيخ العلامة زيد بن محمد بن هادي المدخلي، تحقيق وتعليق .
٧- شرح منظومة منهج الحق للسعدي لفضيلة الشيخ العلامة زيد بن محمد بن هادي المدخلي ، تحقيق وتعليق . وغير ذلك .

وقد ترك الشيخ تراثاً علمياً نافعاً من خلال الدروس الصوتية المسجلة لذا فإنني أحث أبناءه على أن يعتنوا بتراث أبيهم فينشئوا مؤسسة علمية للشيخ أو حسبما يستطيعون فالمهم أن تستمر طباعة كتب الشيخ وأن يتم تفريغ الدروس والعناية بها لتطبع على الوجه الذي يرتضيه الشيخ لو كان حياً ، وفي نظري أن أكثر واحد لديه خبرة بذلك هو ولده الأخ علي فيما أعلم ؛ فكم قد اعتذر لي عن عدم رده علي بسبب شغله مع

14 - انتهيت من الجزء الأول منه ويضم مائة سؤال لي قد تم عرضها على الشيخ – رحمه الله – في دروسه ، ويليه إن شاء الله تعالى الجزء الثاني نحوه تقريباً .

والده فهو أدرى بأبيه من غيره ، ولكن النصيحة له ولإخوته ألا يحجروا الأمر وأن يفتحوا المجال لطلاب العلم ليخرجوا تراث الشيخ وليشترطوا عليهم أن تكون المراجعة قبل النشر من قبلهم ، لكن لا تمنعوهم نهائياً فإن هذا سيصرف طلاب العلم عن تراثه كما حدث مع كثير من الشيوخ من قبله ، وإنني أول المرحبين بالتعاون معكم على إخراج تراث شيخنا الحبيب رحمه الله ولكم أن تراجعوا الأبحاث المذكورة آنفاً ، حتى ينتفع الشيخ بعلمه بعد موته كما جاء في صحيح مسلم عن أبي هريرة أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال :« إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاثة إلا من صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له »[١٥] .

قال ابن القيم في كتابه مفتاح دار السعادة : (وهذا من أعظم الأدلة على شرف العلم وفضله وعظم ثمرته فإن ثوابه يصل إلى الرجل بعد موته ما دام ينتفع به فكأنه حي لم ينقطع عمله مع ماله من حياة الذكر والثناء فجريان أجره عليه إذا انقطع عن الناس ثواب أعمالهم حياة ثانية وخص النبي هذه الأشياء الثلاثة بوصول الثواب إلى الميت لأنه سبب لحصولها والعبد إذا باشر السبب الذي يتعلق به الأمر والنهي يترتب عليه مسببه وإن كان خارجا عن سعيه وكسبه فلما كان هو السبب في حصول هذا الولد الصالح والصدقة الجارية والعلم النافع جرى عليه ثوابه وأجره لتسببه فيه فالعبد إنما يثاب على ما باشره أو على ما تولد منه)[١٦]اهـ

وقال أيضاً : (فالعالم بما جاء به الرسول العامل به أطوع في أهل الأرض من كل أحد فإذا مات أحيا الله ذكره ونشر له في العالمين أحسن الثناء . فالعالم بعد وفاته ميت وهو حي بين الناس ، والجاهل في حياته حي وهو ميت بين الناس كما قيل :

وفي الجهل قبل الموت موت لأهله ... وأجسامهم قبل القبور قبور
وأرواحهم في وحشة من جسومهم ... وليس لهم حتى النشور نشور

---

15 - صحيح : رواه مسلم (١٦٣١) . تنبيه : يخطئ كثير من الناس فيورد الحديث بلفظ (إذا مات ابن آدم) والصواب ما أثبته .

16 ـ مفتاح دار السعادة (١ / ٥٠٠- ٥٠١) .

وقال الآخر :

قد مات قوم وما ماتت مكارمهم وعاش قوم وهم في الناس أموات

وقال آخر :

وما دام ذكر العبد بالفضل باقيا فذلك حي وهو في الترب هالك

ومن تأمل أحوال أئمة الإسلام كأئمة الحديث والفقه كيف هم تحت التراب وهم في العالمين كأنهم أحياء بينهم لم يفقدوا منهم إلا صورهم وإلا فذكرهم وحديثهم والثناء عليهم غير منقطع وهذه هي الحياة حقا حتى عد ذلك حياة ثانية)[١٧]اهـ

لقد تمنيت كثيراً ودعوت الله أن يريني الشيخ زيداً ويقر عيني بذلك ولكن قدر الله وما شاء فعل ، لكن مما ينبغي التنبيه عليه أن يعلم الجميع أنني وكثير مثلي من طلبة العلم قد منعهم من ذلك عدم قدرتهم على الرحيل إلى الشيخ وغيره من أهل العلم فلو كنت مستطيعاً لما تأخرت البتة ، وعندما عجزت عن ذلك عملت بقول القائل :

إذا لم تستطع شيئاً فدعه وجاوزه إلى ما تستطيع

وانطلاقاً من ذلك تواصلت عبر شبكة الإنترنت وحضرت دروس شيخنا المباشرة وكذلك دروس جملة غيره من أهل العلم ، وقد أرسلت الأربعة أبحاث الأول التي ذكرتها آنفاً من عملي وتحقيقي على بريد موقع الشيخ زيد – رحمه الله – وقد جرى اتصال بيني وبين الأخ الحبيب علي بن زيد وطلبت منه أن يطلع على هذه الأبحاث والتحقيقات وأخبرته بأن لدي أعمال أخرى للشيخ ؛ فطلب مني إرسالها إلى دار الميراث النبوي بالجزائر لأنها مسئولة عن كل أعمال الشيخ فقلت له أتمنى لو تطبع نسخة من الأبحاث وتطلع الشيخ عليها ، فقال هو يأخذ فقط ما يأتي من الجزائر[١٨] أرسلها إليهم وسأكلمهم فأنا على تواصل معهم ، فأرسلتها إليهم وذلك منذ سنة ونصف تقريباً ولم يردوا علي إلى الآن ! ولا أدري هل تم عرض الأبحاث على شيخنا

---

17 ـ مفتاح دار السعادة (١ / ٣٨٧ - ٣٨٨) .

18 ـ أي من دار الميراث النبوي .

زيد – رحمه الله – أم لا ؟!

وقد طلبت أيضاً في هذا الاتصال أن يمكنني الأخ علي من مكالمة مع الشيخ زيد ولكنه ذكر أن هذا صعب لأن الجوال يؤذي أذن الشيخ ، فقلت له لو تفتح له السماعة الخارجية ، فقال والله لا يستطيع يؤذيه والله العظيم ، وذكر لي أنه سيبلغه سلامي .

وكم قد طلبت منه إيصال السلام لوالده في كثير من المحادثات بيننا ، وأكون سعيداً جداً عندما يخبرني بأنه بلغ سلامي للشيخ وأن الشيخ يسلم علي وكذلك إذا أخبرني أي واحد من الإخوة الذين ينقلون الدرس في الغرفة ، ولقد سعدت جداً في بعض المرات عندما تكلمت مع الأخ أبي فهد وهو ممن كان ينقل الدرس المباشر في الغرفة فقلت له : ليتك تسلم لي على شيخنا زيد والأخ علي . فذكر أنه أوصل السلام وحلف بالله أنهما يسلمان علي ، فقلت له : جزاك الله خيراً ، أوصلته للشيخ زيد؟ فقال : نعم . وذكر لي أنه أخبر الشيخ زيداً بما أقوم به من تفريغ أسئلتي التي يجيب عليها الشيخ في دروسه ؛ قال : والله دعا لك بخير ، ففرحت جداً بذلك وقلت إن الشيخ من العلماء الربانيين ولعل الله يستجيب دعاءه .

وفي مرة افتتح الشيخ جوابه على سؤال من أسئلتي بقوله :(أولاً نهنئ أخانا بما هو عليه من منهج السلف الصالح الذين ليس لهم مصدر في أخذ العلم المتعلق بالعقيدة والمتعلق بالشريعة ومنها السلوك العملي ؛ أهنئه بذلك فَلْيَدُم على ما هو عليه ، وعليه أن يدعوا إلى منهج أهل السنة والجماعة عقيدة وشريعة بالفهم الصحيح وبالأسلوب الطيب الذي يكون سبباً في استمالة القلوب ، لأنه لا يملك أكثر من ذلك)اهـ

وفي مرة طلبت منه كلمة تحذيرية من الدعاة القصاصين فقال : (هو الآن السؤال يدل على علم عنده بأن الدعاة القصاصين الذين يعتمدون على القصص وليس عندهم أدلة شرعية من الكتاب والسنة أنه لا يستفاد منهم ولا من قصصهم ، وكان السلف يعرضون عنهم ولا يعتبرونهم من الدعاة الذين ينتفع بدعوتهم فالحذر منهم .)اهـ

وفي بعض المرات لما أخبره الأخ علي بأنني أفرغ الإجابة فقال شيخنا : إنسان ينوي الخير ، ولا شك أن هذا كان يفرحني كثيراً بفضل الله تبارك وتعالى .

وقد تميزت كتب الشيخ ودروسه بسهولتها وجمال عبارتها وترتيبها الحسن الذي يدل على تمكن صاحبها فيما يكتب ، وقد شرح شيخنا كثيراً من الكتب العلمية التي تدل على رسوخ قدمه واعتنى عناية كبيرة بكتب العقيدة فشرح جملة كبيرة من كتب المتقدمين والمتأخرين وقرر عقيدة السلف ورد على أهل الأهواء ، وكذلك شرح جملة من كتب الحديث والفقه والأصول وعلق على بعض كتب التفسير كتفسير ابن كثير وتفسير السعدي وأضواء البيان .

وأخيراً : فكما قلت آنفاً إن الكلام ذو شجون لكن لعل فيما ذكرت الكفاية ليعلم الجميع مدى حبي له وتعلقي الكبير به وقد طلبت من بعض الإخوة منذ قرابة شهرين أن يصور الأبحاث التي أعددتها للشيخ ونشرتها على موقعي على شبكة الإنترنت وصفحتي على الفيس بوك ويوصلها إليه ويسلمها له في يده ولكنه تعذر له الذهاب وكنت ناوياً الذهاب إلى عمرة قريباً إن شاء الله ومن ثم أذهب إليه بنفسي ولكن قدر الله وما شاء فعل ، وبسبب كل هذه الأسباب حق لي أن أحزن كل هذا الحزن على وفاة شيخنا الحبيب وأتمثل قول :

فما كان زيد[19] هلكه هلك واحد ولكنه بنيان قوم تهدما

وبسبب هذا المصاب الجلل وهو وفاة شيخنا العلامة زيد المدخلي ؛ فإني أحث نفسي وطلاب العلم الشرعي أن يجدوا ويجتهدوا في تحصيل العلم الشرعي ويخلصوا فيه النية لله تبارك وتعالى فالعلم شرفه عظيم ولا يعدله شيء لمن صحت نيته وذلك بأن ينوي رفع الجهل عن نفسه وعن غيره من المسلمين فالناس يحتاجون للعلم أكثر من حاجتهم إلى الطعام والشراب ، وأهل الباطل مجدون في نشر باطلهم فينبغي على أهل الحق أن يجدوا في نشر ما عندهم حتى يقضوا على الباطل وأهله .

19 - في أصل البيت كلمة (قيس) فاستبدلتها بكلمة (زيد) وهو اسم شيخنا – رحمه الله – وهي على نفس الوزن .

وليعلم الطالب اللبيب أن الرجل إذا مات انقطع ذكره وقلَّ من يذكره إلا صاحب العلم الشرعي على منهج السلف الصالح فإن ذكره يجري على ألسنة أهل العلم وغيرهم ويترحمون عليه ليلاً ونهاراً وكلما عمل أحد بشيء قد استفاده منه فإنه يأخذ أجراً على ذلك كما تقدم وهذا شرف كبير لصاحبه ، ولهذا قال القائل :

ما الفخر إلا لأهل العلم إنهم على الهدى لمن استهدى أدلاء

وقدر كل امرئ ما كان يحسنه والجاهلون لأهل العلم أعداء

ففز بعلم تعش حياً به أبدا الناس موتى وأهل العلم أحياء

والشيخ العلامة زيد بن محمد بن هادي المدخلي من الراسخين في العلم ونحسبه من المخلصين ولا نزكي على الله أحداً ، وسيذكر بكل جميل عند من يعرف لأهل العلم مكانتهم وإذا ثبت خطؤه في شيء من المسائل فإن الخطأ يجتنب منه ومن غيره من أهل العلم السائرين على منهج السلف الصالح وتحفظ كرامته لأنه معروف بسلفيته ودفاعه عن عقيدة ومنهج السلف .

نسأل الله تعالى أن يتغمد الشيخ برحمته ويدخله فسيح جناته مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً .

هذا والله أعلم وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربِّ العالمين .

وكتبه

أبو عبد الله

وائل بن على بن أحمد الأثري

الخميس : ١٢ / جمادى الأولى / ١٤٣٥هـ

الموافق : ١٣ / مارس / ٢٠١٤م

alsalafy1433@hotmail.com